«إجازة» الرسائل العلمية «٢»

د. عمر بن عبد العزيز المحمود

كنتُ في الجزء الأول من هذا المقال أتحدَّث عن الضعف الواضح الذي أصاب مناقشات الرسائل العلمية التي يُقدِّمها الباحثون في جامعاتنا السعودية، وتعجَّبتُ من عدم وجود حالات رفض لرسائل علمية بسبب عدم أهليتها، وعدم أهلية الطالب الذي قدَّمها، حيث لا يستحقُّ أن يمنح الدرجة العلمية المقصودة بالنظر إلى ضعف رسالته الواضح علمياً ومنهجياً، ونحو ذلك من الأسباب التي تُحتم على المناقش أن يعلن عدم إجازته للرسالة أمام الملأ.

إنَّ عدم وجود مثل هذه الحالات في المناقشات العلمية يفتح سؤالاً كبيراً مفاده: هل كلُّ ما يُقدَّم من رسائل في مختلف الجامعات وشتى التخصصات قد بلغ مرحلةً عاليةً من الإتقان والجودة؟ وهل كلُّ ما فيها يستحق أن يُجاز علمياً وأن يمنح لأجله الباحث درجة علمية؟.. وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا مستوى البحث العلمي في جامعاتنا يعاني من ضعفٍ واضح؟.. ولماذا جامعاتنا لا تحتل مراكز متقدمة في التصنيفات العالمية، حيث إنَّ جودة البحث العلمي تُعدُّ معياراً مهماً لهذا التصنيف؟.. ولماذا لا نشاهد أو نسمع بطلاب موهوبين تمكنوا من الوصول إلى العالمية وأسهموا في رقيِّ المجتمع من خلال بحوثهم العلمية؟

إنَّ نتائج المناقشات العلمية تؤكد أنَّ مثل هذه الحالات لا تكاد توجد، وهو ما يعني وجود خلل واضح في هذه المناقشات، وهو خللٌ أساءَ إليها، وَجعلها أشبه بإجراءٍ إداريٍّ لا قيمة له، مما جعل الطالب يستخف بمثل هذه المناقشات، ويعد حصوله على الدرجة العلمية مجرَّد وقتٍ لا أكثر، ما دام أنه قدَّم ورقاتٍ مجموعة تحت اسم (رسالة علمية) الله أعلم بما فيها، أما المسرحية الهزلية التي تُدعى (مناقشة) فهي مجرَّد غطاء لكي يكون منحه الدرجة رسمياً لا أكثر.

وأعتقد أنَّ هناك أسباباً كثيرة لظهور المناقشات العلمية بهذه الصورة الضعيفة، يأتي في مُقدِّمتها عدم وعي المناقشين بأهمية ما يقومون به، وعدم إدراكهم أنَّ إقرارهم للنتيجة أياً كانت سيؤثر في مسيرة البحث العلمي في الوطن سلباً أو إيجاباً، فإن أجازوا رسالةً لا تستحقُّ أن تجاز فهم في الحقيقة يسمحون بإضافة فكرٍ مغلوطٍ وأسلوبٍ مهترئ إلى المكتبات، ويقرأها غير المتخصص فينخدع بما فيها، وإن منحوا درجةً علميةً لمن ليس أهلاً لها أضافوا إلى هذا المجتمع شخصاً جديداً غير مؤهل وضعيفاً في تخصصه، وغداً يدرس على يديه طلاب يأخذون عنه الترهات التي كان يهذي بها في رسالته، ولك أن تتخيل مستوى الجيل الذي سيتخرَّج على يديه، وبقية الأجيال الذين سيتخرَّجون على يد أمثاله من أصحاب الدرجات العلمية الذين حصلوا عليها بغير حق؛ بسبب مناقشٍ لم يعِ خطورة ما يفعل وهو يجيز رسالةً لا تستحقُّ الورق الذي كتبت به، ويمنح درجةً علميةً عاليةً لطالب سيشرف غداً على طلاب آخرين، ولك أن تُتخيَّل - مرَّةً أخرى - ما سينتجه هؤلاء على يدي باحثنا الموقَّر!!

ومن الأسباب التي تُظهر المناقشات بهذه الصورة المخجلة المجاملات العلمية التي تحصل بين المناقشين والمشرف من جهة، أو تلك التي تكون بينهم والطالب من جهة أخرى، خصوصاً حين يكون من منسوبي القسم، أو حين يكون أهله حاضرين، وفي هذه الحالات تطغى غالباً المجاملة المقيتة، وتتوارى العلمية والمنهجية، حيث يضطرُّ المناقش إلى مراعاة المشرف، والتقليل من حجم الأخطاء الفاضحة في الرسالة؛ لأنه لا يريد أن يخسر علاقته مع المشرف عليها، خصوصاً مع علمه أنه سيجلس بجانبه غداً في مجلس القسم أو مجلس الكلية، فيضطرُّ إلى مجاملته من خلال الثناء غير المستحق على الرسالة، وربما يفعل بعضهم ذلك شعوراً منه أنَّ هذه المجاملة ستفيده فيما لو تبادلا الأدوار، وأصبح المشرف مناقشاً لرسالة هو يشرف عليها، وهي مجاملاتٌ علميةٌ مخزيةٌ مخجلةٌ يسعى أصحابها إلى تحقيق مصالحهم الخاصة على حساب العلم والثقافة والأمانة، ومثل ذلك حين يجامل المناقش الطالب، ويعتقد أنه بذلك يوثق علاقاته مع أعضاء القسم أو الدارسين، وهو لا يعلم أنه يخون الأمانة، ويعبث بالعلم، ويسهم في تأخر البحث العلمي في الوطن، وتشويه سمعته.

ثم إنَّ من أسباب ضعف المناقشات العلمية اعتقاد بعض المناقشين أنَّ المناقشة مجرَّد استعراض للعضلات، حيث يرون زملاءهم حاضرين، فيحاولون أن يبينوا لهم مدى قدرتهم على المناقشة، وكيف أنهم قضوا وقتاً طويلاً في قراءة الرسالة، وكيف أنهم استطاعوا الوقوف على كل هذه الأخطاء والمخالفات، وعند النتيجة تكون المفاجأة أنَّ الرسالة مجازة بأعلى تقدير مع التوصية بالطباعة، وحينها يتضح أنَّ ما شوهد في المناقشة هو مجرَّد استعراض للعضلات لا أكثر، دون أن يُقصد منه تقويم الرسالة وتوجيه الطالب بتعديل ما يستحق التعديل!

ومن أسباب ضعف المناقشات استسلام المناقشين للضعف العلمي والثقافي الذي يعاني منه كثيرٌ من الطلاب اليوم، ومن ثم نزول معيار الجودة عندهم، فتصبح الرسالة المتوسطة ممتازة ويُوصى بطباعته!.. وتصبح الرسالة الضعيفة مجازة مع بعض التعديل الطفيف، ومن عجيب ما رأيته في هذا السياق أنَّ بعض المناقشين أصبحوا يعدُّون الأمانة العلمية أو التوثيق الدقيق من مميزات الرسالة، وأنَّ تنوع المصادر أو قلة الأخطاء اللغوية والإملائية من أسباب تفوقها، وأعتقد أنَّ سبب ذلك انخفاض مستوى الجودة في الرسائل العلمية واستسلام المناقشين للضعف الذي تنضح به، ومن ثم يضطرهم ذلك إلى البحث عن أمور رئيسة وبدهية في الرسالة وعدِّها من المميزات!! ليست هذه الأسباب فقط، فالجزء القادم من هذه المقالة سيحمل البقية.

omar1401@gmail.com
الرياض

من أسرار الكتابة

د. شهلا العَجيلي

Words, words, words...

يستغرق «هاملت» في القراءة، ولا يفهم محاوره شيئاً من ترديده للمفردة:

كلمات، كلمات، كلمات....

لعلّ الذين يعيشون بين الكلمات، يؤوّلون قول شكسبير نحو أنّ العالم ليس سوى بناء من الكلمات، ففي البدء كانت الكلمة، ومنذ أن كانت، لا يكفّ الكتّاب عن تحويل أيّ شيء، وكلّ شيء إلى كلمات، يحبسون أنفسهم والآخرين فيها.

وحينما يحوّل الكتّاب ما في داخلهم، وما حولهم إلى كلمات، يقعون في الخطأ، فذلك أنّ الكلمات تبقى حياديّة ببقائها نوايا مبيّتة وكامنة، وتصير منتمية وإديولوجيّة حينما تتخلّق، أي حينما تكتب وتلفظ، فنحن نحبّ ونكره بالكلمات النائمة، لكنّنا نقع في أخطاء الحبّ والكره في الكلمات الحيّة، المنطوقة والمكتوبة، و «بين منطوق لم يقصد، ومقصود لم ينطق، تذهب المحبّة» كما يقول جبران. ولو لم يقل طرفة بن العبد كلامه، لأبقى على رأسه، ولِنلنا حظوة معرفة المزيد من شعره، وقد عرف خاله المتلمّس ذلك، وحذّره قائلا: «ويلٌ لهذا من هذا» ويقصد: ويل لرأسك من كلامك، و حاول النقد فيما بعد، أن يبرّئ الكاتب من كلامه، ويفصل النصّ عن صاحبه، ويجعله بنية مستقلّة ومقطوعة بمجرّد نجوزها.

للكتابة خسائرها، وقرابينها، إنّها أشبه بمقامرة بالكلمات، وأشبه كذلك بالسهام التي تخبط خبط عشواء، فتقع الكلمات في صدر أحد المتلقّين، وتجعله يتعلّق بكاتب ما، ويعشقه عشقاً أبيّا، وربّما عشقاً مرضيّا.

يعرف الكاتب خسائره، لكنّه يستمرّ بالمقامرة، لأنّ هناك منحاً سماويّة تمنحها الكتابة له، قد ترضي رغبته في المخاتلة والمكر، أو رغبته في محاكاة عمليّة الخلق، أو نرجسيّته، أو لعبته الطفوليّة المتخفية وراء قناع الكلمة، ولعلّ أخصّ هذه اللحظات لحظة يقف الكاتب أمام شخصيّاته وجها لوجه.

لاشكّ في أنّ صناعة الشخصيّة فنّ دقيق، وعلم في الآن ذاته، وخلاصته أنّ ليس ثمّة شخصيّة حقيقيّة صرف، فكلّ شخصيّة في العمل الفنيّ متخيّلة، وتختلف النسب في الخلطة الكتابيّة بين الوقائعيّة والخيال، وتنحصر هذه النسبة بين الصفر و المئة، وبذلك تكون الواقعيّة التي لا تعني الحقيقية، بل تعني أنّ قوانين الواقع لا تمنع وجود مثل هذه الشخصيّة.

يشعر الكاتب بانتصاره على ذاته، حينما يواجهه شخص حقيقيّ، حوّله الكاتب إلى شخصيّة روائيّة، ثمّ يقوم هذا الشخص بمناقشة الكاتب في الشخصيّة التي هو أصلها! زارتني سيّدة أعرفها، وأخبرتني بمدى إعجابها بشخصيّة في إحدى نصوصي، وأنّها عاشت معها تفاصيلها بشغف. كانت تلك السيّدة نواة شخصيّتي الروائيّة ذاتها، لكنّني حوّلت وجودها الفيزيائيّ إلى كلمات، ولعبت على مصيرها في الرواية، لا أعرف إذا ما كنت قد جعلتها أقلّ شقاء، أو أكثر! إنّني حرفت مسارها فحسب.

عبّر لي قارئ عن مقته لواحدة من شخصيّاتي الذكوريّة في رواية أخرى، ونعتَه بالبخل، وبالغباء، وبالجبن. كان الرجل يتحدّث عن نفسه، لكنّه قرأ ذاته بمنظار النصّ، لا بمنظاري الشخصيّ، ولا بمنظاره هو!

قد تصيرالكتابة في جزء منها مبعث حزن للكاتب، وذلك حينما يحاسب الكاتبَ أولئك الذين يتصوّرون أنّه هو في كلّ ما يكتبه، هو الآثم والضحيّة. ويحزن الكاتب حينما يلاحقه أولئك الذين يحبّون أن يتحوّلوا إلى شخصيّة من شخصيّاته، وأن يروا أنفسهم في نصوصه، ويوهمونه مثلما يوهمون أنفسهم بالحبّ. قد يقع الكاتب في الوهم، لأنّه يستفيد منه، فهو كائن براغماتيّ على نحو ما، لكنّ صاحب الصنعة يستطيع تضليلهم، لا يمنحهم أبدا ما يريدون، إنّه يصنع ما يريده هو.

هذا ما باح به درويش يوما ما، حينما قال:

هي لا تحبّكَ،
يعجبها مجازكَ،
أنت شاعرها، وهذا كلّ ما في الأمر!
وأدرك قبله نزار الحالة عينها: حينما قال:
ما تفعلين هنا،
ما تفعلين هنا؟!
فالشاعر المشهور ليس أنا،
لكنّني بتوتّري العصبيّ أشبهه
...
وبحزني الأزليّ أشبهه،
هل تسمعين صهيل أحزاني؟!

أرجو أن يدرك المتلقّي أنّ للكتاب أحزانهم، وأوهامهم، ومتاهاتهم، لكنّ أحزانهم تمتدّ غابات، وتصير صهيلا يريدون من الآخرين الإصغاء إليه، فأيّها المتلقّون رفقا بكتّابكم!

عمّان

روزنامة...

«أحب الحياة إذا.. ما استطعت إليها سبيلا..» !!

بثينة الإبراهيم

* دفعًا للأرق اللزج أتسلى بلعبة الألوان، أختبر ذاكرتي مراتٍ ومراتٍ أجرب ذائقتي في اختيار اللونِ المناسب لهذا الشعار أو ذاك، أصبحتِ حقًا مهووسة بالألوان التي لم تغير شيئًا في اللون الحقيقي لحياتي!

* أهرب من الألوان إلى الكلمات، فأتصفح القاموس وأخمن ! ربما عليّ أن أستعيد لعبة الحظ بالأرقام التي كنا نمارسها_ صديقتي وأنا_ بكثير من السذاجة المرّة ! كانت صباحاتنا تمنحُ اللونَ لبقية اليوم مثل ملكٍ يعمه فارسًا أنهى تدريباته بضربات السيفِ الخفيفة على كتفيه، وكانت لعبة الأرقام حيلةً نستقرئ بها طالعنا في «سنوات الضَياع» تلك!

* أكتب لمن لا يقرأ وألوّن لمن لا يرسم لكنّي لا أغنّي ! صوتي يعيش أزمة، لم أعدْ أعرف له هويةً، ولم تنفعْ معه حلولُ صديقتي « طفي وشغلي» ولا حتى تعويذات ساحراتي الطيبات اللاتي دخلْن في إجازة مفاجئة أو ربما غيبوبة، غير أن المؤكّد أنهن حطّمن قدورهن وسكبْن كل تعويذاتهن واعتزلْن السحر!.

* أخشى على ذاكرتي من النضوب فأشتري كثيرًا من الأقلام والدفاتر كي أكتبَ لحياتي الباهتة وألمّ الكثيرَ من التفاصيل التافهة؛ بطاقاتٍ هاتفية منتهية الصلاحية وفاتورة المكتبة وإشعارات البريد والقطع النقدية التي يصعب تداولها، ومع ذلك يظهر أنها تخونني كثيرًا، فأتوقف عند الصفحة الأربعين في سردِ سيرةٍ لحياةٍ عادية لم أعرفْ لي فيها أبعادًا ولم أتساءلْ عن موقعي بحسب خطيْ «الطول والعرض» كما فعلت أليس الحكيمة أثناء سقوطها في الجُحر، أنا أيضًا أسقط في جحر لا أعرف له «قرارا»!.

* يصير كل شيءٍ من حولنا هلاميًا باردًا، حتى الوقت! وتبقى الكلمات تدور في فراغ مثل روّاد الفضاء ليس لها جاذبيةٌ تشدها، وتبقى بعض الأحاديثِ معلّقةً مثل فنجان شاي مكسور اليد، لا يمكنك التخلّص منه فهو صالحٌ في سياقاتٍ أخرى لا تشمل طقمَ شاي الساعة الخامسة!.

* أقاوم بمجداف «الأمل المزغب» وأطعم الخيباتِ بعضَ مسامير القرنفل لعلّها تشعر بالخدر مثل ضرس منخور، في هذه الأثناء يصلني إشعارٌ من اللّعبة يسمَح لي باستئنافها وعليّ أن أدوّر دولاب الحظ لمضاعفة حيواتي كي أخمّن مزيدًا من الألوان والشعارات التي لا تغير شيئًا في هذه العتمة السادرة!.

* «دعِ الريحَ تمرّ
لا تسألْها شيئًا
ليس لها من معنىً
غير أنّها الريحُ التي تمرّ..»
فرناندوبيسوا..

القاهرة